# ابن ميمون

بقلم
الدكتور علي عبدالله الدفاع

هو أبو عمران موسى بن عبدالله بن ميمون القرطبي. ولد بقرطبة عام ٥٢٩هـ (١١٣٤م)، وعاش بها حتى بلغ أربعة عشر عاماً من عمره وتوفي بمصر سنة ٦٠١ هجرية (١٢٠٤ ميلادية) ودفن في طبرية. وقد ترعرع في أول حياته في بيت غني وجاه، وتتلمذ على كبار علماء العرب والمسلمين أمثال ابن رشد. وعندما زاد نفوذ الموحدين في قرطبة، تركها إلى بلاد المغرب ومكث ردحاً من الزمن في مدينة فاس المغربية، ومن ثم اتجه إلى القدس في فلسطين. وانتهى به المطاف إلى مصر، وذلك في أيام حكم الخليفة الفاطمي (العاضد). ويذكر الدوميلي في كتابه العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي أن أبا عمران موسى بن ميمون ينبغي أن يعد أندلسياً بالنظر إلى مولده، وثقافته، ووجدانه، ولد في قرطبة سنة ٥٢٩ هجرية (١١٣٤ ميلادية)، ولكنه غادر مسقط رأسه إلى جنوب الأندلس عام ٥٤٢ هجرية (١١٤٨ ميلادية)، ومن ثم إلى بلاد المغرب العربي في عام ٥٥٢ هجرية (١١٥٨ ميلادية)، ولم يطل هناك، بل غادر المغرب إلى فلسطين عام ٥٥٩ هجرية (١٦٦٥ ميلادية)، وبعد إقامة قصيرة في فلسطين استقر في مصر (بالفسطاط) في نهاية السنة المذكورة. وعلى الرغم من أن أبا عمران موسى بن ميمون درس الطب والصيدلة سابقاً منذ زمن طويل، فهو كما يبدو لم يبدأ مزاولته عملياً إلا في مصر، حيث اكتسب شهرة عظيمة في هذين الحقلين بدراسته المكثفة.

وقد تردد على ألسنة مؤرخي العلوم أن موسى بن ميمون اعتنق الإسلام، عندما كان في المغرب، ولكنه عندما حل في مصر ارتد إلى اليهودية. وقد أحببنا أن نورد هذه القصة لتقصي الحقيقة. وإن كنا نشك في صحتها، لأن موسى بن ميمون رجل ذكي، فلو أنه كان حفظ القرآن ودرس الفقه واعتنق الإسلام، لم يكن له أن يرتد إلى أي دين غير الإسلام، وهو ما نميل إليه، فهو لم يسلم قط، على الرغم مما يقوله أحمد شوكت الشطي في كتابه **تاريخ الطب وآدابه وأعلامه**: «قيل إن الرئيس موسى بن ميمون كان أسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه ثم إنه لما توجه إلى الديار المصرية وأقام بالفسطاط ارتد».

وهناك تفسير آخر لهذه المسألة ذكره جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف القفطي، فيروى لنا في كتابه «**تاريخ الحكماء**» «كان موسى بن ميمون من أهل الأندلس، يهودي النحلة، قرأ علم الأوائل بالأندلس، وأحكم الرياضيات ... وقرأ الطب هناك فأجاده علماً ولم يكن له جسارة على العمل. ولما نادى عبد المؤمن بن علي الكوفي البربري المستولي على المغرب في البلاد التي ملكها بإخراج اليهود والنصارى منها، وقدر لهم مدة وشرطا. «ومن بقي على رأي أهل ملته فإما أن يخرج قبل الأجل الذي أجله، وإما أن يكون بعد الأجل في حكم السلطان».. واستقر هذا الأمر وخرج المخففون وبقي من ثقل ظهره وشح بأهله وماله، فأظهر موسى بن ميمون الإسلام وأسر الكفر ... إلى أن مكنته الفرصة في الرحلة بعد ضم أطرافه إلى مصر، ومعه أهله ونزل مدينة الفسطاط بين يهودها فأظهر دينه».

لقد نهل أبو عمران موسى بن ميمون العلم على أيدي علماء العرب والمسلمين في الأندلس حتى تفنن في مهنتي الطب والصيدلة. فعندما وصل مصر عام ٥٦٠هـ (١١٦٦ ميلادية) اشتغل بالتجارة أولاً، ثم زاول مهنتي الطب والصيدلة فذاع صيته بين معاصريه ودخل في خدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومن ثم صار الطبيب الخاص لابنه الملك الأفضل نور الدين على الذي استولى على السلطة في مصر سنة ٥٩٣هـ (١١٩٨ ميلادية)، ثم عزل عن منصبه في البلاط سنة ٥٩٥هـ (الموافق ١٢٠٠

ميلادية). يقول محمد زهير البابا في كتابه **تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة** «ولد ابن ميمون من عائلة موسوية غنية وذات نفوذ، درس العلم والفلسفة على يد علماء المسلمين وبخاصة ابن رشد. ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره سقطت قرطبة بيد أمراء الموحدين، فرحلت أسرته إلى جنوب الأندلس، ثم سافرت إلى فاس وتابعت طريقها إلى فلسطين ... وفي عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي رحل ابن ميمون إلى مصر، حيث عمل بالتجارة أولاً ثم احترف الطب ودخل في خدمة السلطان ومن جاء من بعده من عائلته».

لقد اعتمد أبو عمران موسى بن ميمون في كتابه (شرح أسماء العقاقير) على أربعة مصادر رئيسية كتاب (شرح العقار) لابن جلجل (١) وكتاب (الجامع) لأحمد الغافقي، وكتاب (الأدوية المفردة) لابن وافد (٢) وكتاب الأدوية المفردة لابن سمجون (٣) ويعتبر هذا الكتاب عند مؤرخي العلوم من المصادر الهامة: يقول مؤلفو كتاب **موجز تاريخ الصيدلة**: «لقد رتب ابن ميمون أسماء الأدوية في كتابه طبقاً لترتيب الحروف الأبجدية. واعتمد في شرح هذه الأسماء على كتاب ابن جلجل في (شرح العقار) والكتاب (الجامع) الذي ألفه أحمد الغافقي وكتاب (الأدوية المفردة) لابن سمجون وكتاب ابن وافد في الأدوية المفردة أيضاً وتتفاوت بيانات ابن ميمون عن الأدوية، فبعضها يقتصر على كلمتين أو ثلاث والبعض الآخر يصل إلى أسطر، وقد أورد لنا جورج شحاتة قنواتي في كتابه **تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط** بعض النماذج لشرحه أسماء العقاقير والتي اقتبسها من نص ابن ميمون وهي كالآتي:

١ ـ أترج ـ التفاح المائي.

٢ ـ أرز ـ هو ذكي الصنوبر الذي لا يطعم، ومنه يستخرج الزفت والسرو ونوع من الأرز.

٣ ـ أسطو خودوس ـ الذي يستعمله الأطباء بالمغرب وفي ديار مصر هو هذا النبات الذي يسميه عامة أهل المغرب الحلحال وهو مشايع الشيح ويقال له أيضاً أرشنيسه وهو سنبل الأحانية، وسمعت من المحققين الباحثين عن النبات بعلم واجتهاد أن هذا ليس

من الأسطوخودوس الذي ذكره جالينوس بل هو شيء في قوته وذلك أن الأسطوخودوس الحقيقي أعرض ورقاً من هذا وأغلظ وشائع وهو يطلع على مقربة من طليطلة.

وينقل لنا جورج شحاته قنواتي في كتابه **تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط** أن موسى بن ميمون قد أوضح في مستهل كتابه (شرح أسماء العقاقير) القصد الذي من أجله ألف هذا الكتاب. إذ قال: «قصدي في هذه المقالة شرح أسماء العقاقير الموجودة في زمننا المعروفة عندنا، المستعملة في صناعة الطب، في هذه الكتب الموجودة لدينا. ولا أذكر من الأدوية المفردة إلا ما ترادفت عليه أسماء أكثر من واحد إما بحسب اختلاف اللغات أو بحسب اللغة الواحدة؛ لأن الدواء قد يكون له اسماء كثيرة عند أهل اللغة الواحدة، إما بحسب ترادف وقع في أصل الوضع أو بحسب اختلاف اصطلاح أهل المواضيع. وأي دواء مشهور معلوم لم يشهر له عند الأطباء غير اسم واحد، إما عربي وإما عجمي، فإني لست أذكره؛ إذ ليس غرضي في هذه المقالة تعريف أنواع الأدوية بصفاتها أو ذكر منافعها بل شرح لبعض أسمائها ببعض».

**لقد اهتم موسى بن ميمون بدراسة حال الإنسان وما تتعرض له من غضب وسرور، وتأثير هذه الحالات النفسية على الجسم. والجدير ذكره أن موسى بن ميمون أولى الطب النفساني عناية بالغة؛ لأن الأمة في عهده تمر في ظروف قاسية جداً. لذا نراه نال شهرة عند السلطان وعامة الناس، مما دفع الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي نور الدين إلى أن يحتضنه في بلاطه.**

**ويذكر محمد زهير البابا في كتابه «تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة» أن رسالة ابن ميمون التي سماها الأفضلية (نسبة للملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي) وقدمها إليه، هي في الحقيقة تبحث في أحوال النفس من سرور وحزن (أثر هذه الحالات في صحة الإنسان. وهي تعتبر بحق من أجمل ما كتب في الطب النفساني ورياضة النفس).**

أنجب موسى بن ميمون ولداً في مصر سنة ٥٥٤ هجرية (١١٤٩ ميلادية) وسماه ابراهيم. فتتلمذ على يد والده وكبار علماء العرب والمسلمين في مصر، حتى

برز في مهنتي الطب والصيدلة فانضم إلى أسرة أطباء البيمارستان الناصري وبقي يتردد عليه ويعالج المرضى، حتى توفي سنة ٦٣٠ هجرية (١٢٣٨ ميلادية). يقول ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء «أبو المنى ابراهيم بن الرئيس موسى بن ميمون منشؤه بفسطاط مصر، وكان طبيباً مشهوراً عالماً بصناعة الطب جيداً في أعمالها ... اجتمعتُ به سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين وستمائة بالقاهرة وكنت حينئذ أطب في البيمارستان بها فوجدته شيخاً طويلاً نحيف الجسم، حسن العشرة، لطيف الكلام، متميزاً في الطب «اشتهر بصناعة الطب ... عالج المرضى في بيمارستان القاهرة واشترك معه في ذلك ابن أبي أصيبعة».

لقد اهتم ماكس مايرهوف في بالتراث العربي والإسلامي وبخاصة الطب والصيدلة. فقد درس بكل إتقان كتاب شرح أسماء العقاقير لابن ميمون، حتى أنه تمكن من ترجمته إلى اللغة الفرنسية، ويذكر مؤلفو كتاب **موجز تاريخ الصيدلة**: أن ماكس مايرهوف قد نشر ترجمته لكتاب شرح أسماء العقاقير لأبي عمران موسى بن ميمون القرطبي في اللغة الفرنسية سنة ١٩٤٠ ميلادية بالقاهرة المعهد المصري لأهميته.

ومن جانب آخر فقد حاول موسى ابن ميمون أن يعمل دراسات فلسفية أساءت إلى العقيدة الإسلامية، لذا نجد أنه اشتهر بين معاصريه والذين أتوا بعد بكتابه الذي سماه «دلالة الحائرين» والجدير ذكره أن علماء والمسلمين أجمعوا أن هذا الإنتاج ليس إلا مضللاً، لذا سموه كتاب «ضلالة الحائرين» يقول أحمد شوكت الشطي في كتابه «**تاريخ الطب وآدابه واعلامه**» وأما شهرة ابن ميمون فلم تأته من الطب والصيدلة، ولكن من محاولته التوفيق بين الاعتقاد والبرهان وبين الدين والعلم، وقد حوى كتابه المسمى (دلالة الحائرين) نظريات في تقريب الفلسفة اليونانية والعربية من التعاليم الدينية فلم تُرُق للكثيرين، لذا سموا كتابه (ضلالة الحائرين) ... وقد ذكره معاصره عبد اللطيف البغدادي(٤) في كتابه المسمى (الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) حيث قال ... أما موسى بن ميمون فوجدته

فاضلاً لا في الغاية قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة أرباب الدنيا، وقال في كتابه (دلالة الحائرين) إنه كتاب سوء يفصل أصول الشرائع والعقائد بما يظهر أنه يصلحها».

لقد كان موسى بن ميمون يحث تلاميذه على دراسة إنتاج علماء العرب والمسلمين من زملائه والسابقين له، فعلى سبيل المثال لا الحصر، كان موسى بن ميمون يوصي كبار فلاسفة اليهود بدراسة إنتاج ابن رشد والفارابي وابن سينا، ويقول روم لاندو في كتابه **الإسلام والعرب** ولقد أوصى ابن ميمون أعظم الفلاسفة اليهود بدراسة كتاب (السياسة المدنية) بهذه الكلمات (أنا لا أوصيك بأن تقرأ أيما كتاب في علم المنطق غير تلك الكتب التي وضعها الفيلسوف أبو نصر الفارابي)... ومن هنا لم يكن من قبيل المصادفة ومجرد الاتفاق أن أشد أتباع ابن رشد حماسة كانوا هم الفلاسفة اليهود، وأن آثار ابن ميمون لا يمكن أن تفهم إلا على ضوء النموذج (الرشدي) الذي تدين له بأعظم أفكارها شأناً».

لقد تأزمت الحياة في الأندلس في الآونة الأخيرة وذلك تقريباً في الفترة التي عاش فيها موسى بن ميمون. فاضطر كثير من فطاحل العلم من علماء العرب والمسلمين أمثال ابن البيطار وابن رشد وابن ميمون وغيرهم أن يتركوا الأندلس ويتجهوا إلى الشطر الشرقي للأمة العربية والإسلامية مدعين أن الحياة في الأندلس صارت غير مريحة للتفكير الأصيل، لذا نجد أن شعلة الفكر قد اختفت وماتت الروح العلمية هناك.

**يقول سامي خلف حمارنة في كتابه فهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الطب والصيدلة) «فتقلص أفق الأبحاث الثقافية وخبت شعلة الانطلاق الفكري والفلسفي وخمدت الروح العلمية الخلاقة حتى أن كثيراً من أبناء الأندلس النجباء كالفيلسوف المتطبب موسى بن ميمون (١١٣٥ ـ ١٢٠٤)، وعبدالله بن أحمد بن البيطار العشاب المالقي غادراها إلى بلاد المشرق من أرض العرب كمصر وسورية لمتابعة خدماتها العلمية بحرية وأمان. ولكن الأندلس من ناحية ثانية، كانت في هذه الآونة وخلال القرن الثالث عشر وماتلاه مركزاً هاماً لنقل الثقافة العربية وعلومها إلى اللاتينية، حيث تلقاها الغرب بتقدير كثير**

وتعطش شديد، فكانت سبباً في إيقاظ روح العلم والإنتاج الفكري وبالتالي إلى البعث في أوربا الغربية».

**مؤلفاتـه:**

اهتم بالتأليف كغيره من علماء العرب والمسلمين فقد قضى أكثر من ثلاثين عاماً في نشاطه المتواصل في التصنيف فكتب في الفلسفة، وعلم الكلام، والطب، والصيدلة، والدين اليهودي، مما جعل منه شخصية بارزة في الحضارة العربية والإسلامية. أورد كل من الدوميلي في كتابه العلم عند العرب وجورج شحاتة قنواتي في كتابه تاريخ الصيدلة والعقاقير وابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء، قائمة بأسماء مؤلفاته هي:

(١) كتاب فصول القرطبي وهو شرح وتلخيص لآراء جالينوس (وتسمى أيضاً فصول موسى بن ميمون.

(٢) المقالة الفاضلية (نسبة للملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي)، وتبحث في الحالات النفسية.

(٣) والمقالة الفاضلة وسماها (السموم والتحرز من الأدوية القتالة). أبرز فيها ابن ميمون الكثير من تجاربه الخاصة.

(٤) رسالة في الربو.

(٥) رسالة في البواسير وعلاجها.

(٦) كتاب المختصرات وهي تلخيص الكتب الستة عشر لجالينوس.

(٧) كتاب شرح فصول أبقراط.

(٨) كتاب شرح أسماء العقاقير.

(٩) كتاب في تدبير الصحة.

(١٠) مقالة في الجماع.

(١١) كتاب كبير على مذهب اليهود.

(١٢) مقالة في بيان الأعراض.

(١٣) كتاب دلالة الحائرين (ضلالة الحائرين).

(١٤) كتاب السراج.

(١٥) كتاب «مشنا توراه».

## ● المراجع ●

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء.
(٢) صاعد الأندلس: طبقات الأمم.
(٣) محمد زهير البابا: تاريخ وتشريح وآداب الصيدلة.
(٤) سامي خلف حمارنة: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية.
(٥) الدوميلي: العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي.
(٦) أحمد شوكت الشطي: تاريخ الطب وآدابه وأعلامه.
(٧) عبد العظيم حفني صابر وآخران: موجز تاريخ الصيدلة.
(٨) جلال مظهر: أثر العرب في الحضارة الأوربية.
(٩) جمال الدين القفطي: تاريخ الحكماء.
(١٠) جورج شحاتة قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير.
(١١) رام لاندو: الإسلام والعرب.

●●●

(١) هو داود سليمان بن حسان بن جلجل، ترعرع وعمل في حقل الطب في مدينة قرطبة فيما بين ٣٦٥ ـ ٣٩٩ هجرية (٩٧٦ ـ ١٠٠٩ ميلادية) كان طبيباً وصيدلياً فاضلاً ولامعاً وخبيراً بالمعالجات. وعمل طبيباً لهاشم بن الحكم المؤيد بالله. فهو من علماء العرب والمسلمين البارزين والذين نبغوا في حقل الصيدلة. ألف كتابه المشهور الذي ضمنه تراجم علماء اليونان والمسلمين في الطب والصيدلة، وكذلك كتابه في الأدوية المخزونة وآخر في تفسير أسماء الأدوية المفردة التي ورد ذكرها في كتاب الأعشاب لديسقوريدس ومقالة في الترياق، ورسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين ومقالة في ذكر الأودية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه.

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم بن وافد، عاش في طليطلة فيما بين ٣٨٧ ـ ٤٥٨ هجرية (٩٩٨ ـ ١٠٦٨ ميلادية). وكان من أطباء وصيادلة العرب والمسلمين المشهورين. ألف كتاباً متكاملاً في علم الأدوية المفردة صمم فيه ما احتوته كتب ديسقوريدس وجالينوس قضى في تأليفه قرابة عشرين عاماً. يقول صاعد الأندلس في كتابه **طبقات الأمم** «وتمهر ابن وافد بعلم الأدوية حتى ضبط منها ما لم يضبط أحد في عصره، وألف كتاباً جليلاً لا نظير له جمع فيه ما تضمنه كتاب ديوسقوريدس وكتاب جاليتوس المؤلفين في الأدوية المفردة، ورتبه أحسن ترتيب وحاول ترتيبه وتصحيح ما ضمنه من أسماء الأودية وصفاتها».

ومما يؤسف له أن كتاب ابن وافد في علم الأدوية المفردة الذي ألفه باللغة العربية قد ضاع، ولكن لحسن الحظ وجد ترجمته باللغة اللاتينية التي كانت من أهم الكتب في الصيدلة التي اعتمدت عليها أوربا في معاهدها وجامعاتها. يقول جلال مظهر في كتابه **اثر العرب في الحضارة الأوربية**» ومن أشهر صيادلة العرب

ابن وافد وينطقون اسمه في اللاتينية (Abenguefit) ولد وعاش في طليطلة. وكان مبحثه في الأدوية المفردة (Simple Drugs) وقد ضاع الأصل العربي ولا يوجد الآن إلا في الترجمة اللاتينية (De Medicamentis Simplicibus) وهو واحد من أهم الكتب في أوربا في العصور الوسطى وبعد ذلك أيضاً.

اشتهر بين معاصريه بالفلسفة وعلم العقاقير ويلقب الوزير أبو المطرف وله مؤلفات هامة ذكرها ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء وهي: (١) كتاب الأدوية المفردة المفردة (٢) كتاب الوساد في الطب (٣) مجربات في الطب (٤) كتاب تدقيق النظر في علل حاسة البصر (٥) كتاب المغيث.

(٣) هو أبو بكر حامد بن سمجون توفي سنة ٣٩٢ هجرية (١٠٠٢ ميلادية) اهتم بدراسة الأدوية المفردة، فألف كتابه المشهور كتاب الأدوية المفردة الذي اشتهر وتميز عن غيره من الكتب في هذا المجال بالجودة البالغة وقد صنف أيضاً كتاباً آخراً اسمه كتاب الأقرباذين. فأبو بكر بن سمجون يعتبر بحق من الذين قدموا خدمة فاضلة لعلم الصيدلة لذا نرى أن ابن ميمون يدرس ويستضيء من مؤلفات ابن سمجون في حقل الصيدلة.

(٥) المقصود بمؤلفي كتاب موجز تاريخ الصيدلة: عبد العظيم حفني صابر وعبد الحليم منتصر وجورج شحاتة قنواتي.

(٤) ولد موفق الدين البغدادي الشافعي في دار جده في بغداد سنة ٥٥٧هـ (١١٦١ ميلادية) وهو من أصل موصلي، عرف باسم اللباد كان والده من علماء الحديث والقراءات، أما عمه فكان من كبار الفقهاء. نشأ البغدادي في دار علم، فدرس النحو وعلم الكلام حتى صار حجة في العربية زار البغدادي كثيراً من المدن الإسلامية المشهورة بعلمائها مثل الموصل ودمشق والقاهرة والقدس كي يتتلمذ على كبار العلماء هناك. درس في الأزهر ثم في حقل الطب وتفنن في هذا المجال حتى صار من كبار علماء الطب .. وتوفي في بغداد سنة ٦٢٩ هجرية (١٢٣١ ميلادية). عكف على التأليف حتى أن ابن أبي أصيبعة ذكر في كتابه **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** أن مؤلفاته وصلت إلى مائة وثلاثين مؤلفاً. وقد اشتهر موفق الدين عبد اللطيف البغدادي باستقلاله في الرأي، فكان لا يأخذ بما سلم به علماء العرب والمسلمين من آراء علماء اليونان مثل جالينوس في الطب وديسقوريدس في النبات وأرسطو في علم الحيوان وغيرهم. لقد نهج منهج ابن الهيثم وابن سينا في اعتماده على المشاهدة والاستقراء وتحري الحقيقة.